الشعارات الحربية في السنة النبوية

حصة السويدي*

مقدمـــة

كما نظم الإسلام أمور الحياة دنيا ودينا، فقد نظم أمور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية، ووضع لها المبادئ والضوابط التي قامت على أساسها "الاستراتيجية العسكرية الإسلامية" التي طبقها المسلمون الأوائل في معاركهم التي خاضوها إعلاء لكلمة الله، وواجهوا بها أعداء يفوقونهم في العدد والعدة، فانتصروا عليهم بإذن الله.[1] وقد شحذ الإنسان كل وسائله وكل أسلحته، وكل ما يمكّنه من الغلبة، ثم توجهت جهود الإنسان، ودراساته إلى العمق، إلى الإرادة التي تحرك الصراع، وتبعث الهمم من مرقدها، فكان ما أطلق عليه الإنسان "الحرب النفسية."[2]

ولما كان الشعار الحربي وسيلة لرفع روح الجند، ودلالة على الاستعداد والتأهب لخوض غمار الحرب، فقد كان يعتمد على نوع من الحرب المعنوية والنفسية، وهو

---

* أستاذة الحديث المشاركة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر.

1 محفوظ، اللواء محمد جمال الدين، **النظرية الإسلامية في بناء المقاتل وإعداد القادة** (القاهرة: دار الاعتصام، 1977م)، ص11، 12.

2 نصر، صلاح، **الحرب النفسية في معركة الكلمة والمعتقد** (القاهرة: دار الوطن العربي، ط 2، 1988م)، ص6.

يتولى هذا البحث دراسته. فقد أُلقي الضوء على الهدي النبوي المبارك في اختيار الشعار الحربي في الجهاد، ذلك أن سيرته ﷺ وهديه المبارك هو خير الهدي وأحسنه في هذا الشأن وفي غيره من الشؤون.

ومن أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع والكتابة فيه وأنني لم أجد مَنْ كتب في هذا الموضوع، فقد بحثت في المراجع باللغة العربية، والمراجع باللغة الإنجليزية، وبحثت كذلك في المخطوطات الإسلامية من خلال: مخطوطات جامع الأزهر بمصر، ومخطوطات هيئة الكتاب المصرية، وبحثت في فهرس (آل البيت) للمخطوطات، وبحثت كذلك من خلال شبكة الإنترنت، فلم أعثر على كتابات مستقلة في هذا الموضوع. ولذا فإن هذا البحث يعدّ من بواكير الدراسات في هذا المجال.

أما منهج الدراسة فيتمثل في اعتماد أصح الروايات وأوثق الأخبار الخاصة بغزوات الرسول ﷺ، ثم تحليل الشعار أو الشعارات التي استخدمت في تلك الغزوات مع الاختصار في ذكر أحداث الغزوة أو الغزوات التي استخدمت فيها الشعارات المدروسة.

بناء الروح المعنوية للمقاتل المسلم

للشعار الحربي في الإسلام أهمية خاصة من حيث الاعتماد عليه في بناء الروح المعنوية للجندي المسلم، وشحذ الهمم، ورفع العزائم إلى أعلى درجاتها عند اللقاء الحربي. وإذا كان ميدان الحرب النفسية يرتكز في الأعمّ الأغلب على "شخص" الجندي المحارب، ومدى استعداده الذاتي، قبل "العتاد" المستخدم في ميدان المعركة والقتال، فإن أسلحة هذه الحرب هي الكلمات، والأفكار، والدعاية، والإشاعات، التي توجه مباشرة إلى الأفراد والجماعات. ومن أخطر أسلحة الحرب النفسية سلاح الرعب الشامل، الذي يهدف إلى تدمير الروح المعنوية للعدو. وهذا السلاح المعنوي أشد الأسلحة فتكاً بالعدو في الدعوة الإسلامية، فقد اختص الرسول ﷺ من بين جميع الأنبياء السابقين عليهم السلام بتحقيق النصر على أعدائه بما يقذفه الله

في قلوبهم من الخوف والرعب؛ فقال ﷺ: «نُصرت بالرعب على العدو».[1] وكذلك من الأسلحة المهمة في الحـــرب النفسية الخـــداع والتمويه،[2] لأن «الحرب خدعة»[3] كما قال عليه الصلاة والسلام وقد حذر القرآن الكريم رسول الله ﷺ من خداع أعدائه فقال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: 62). وبالمقابل جرت سنة رسول الله ﷺ في أكثر معاركه مع أعدائه على استخدام العامل النفسي وتجريدهم من إرادة القتال، مما كان يؤدي إلى تحقيق النصر للمسلمين بغير قتال.[4]

ومن وسائل بناء الروح المعنوية التي استخدمها رسول الله ﷺ في حروبه ما يلي:

1. القرآن الكريم: وهو أعظم وسيلة استخدمها رسول الله ﷺ في الإعداد المعنوي، حيث أعدّ عليه الصلاة والسلام جنده أولاً بالإيمان بالله عز وجل، والإيمان بقدرته تعالى التي لا تحدها حدود، وأن النصر من عند الله ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾. (آل عمران: 136) وأعد جيشه كذلك بالإيمان بقدر الله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا﴾ (التوبة: 51).

2. الإيمان برسالتهم وأن فيهـــا الخير لهم وللبشرية، فقـــوة العقيدة هي الأساس المتين لبناء المقاتل، الذي يمتلئ وجدانه بنبل الهدف الذي يقاتل من أجله ألا وهو "إعلاء

---

1 ابن الحجاج، أبو الحسين مسلم، **صحيح مسلم** (تركيا: دار الدعوة، 1401هـ/1981م)، كتاب المساجد، حديث رقم 523، ج1، ص372، وأخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري في **الجامع الصحيح**، كتاب الجهاد، باب قول النبي ﷺ نُصرت بالرعب، (تركيا: دار الدعوة، 1401هـ /1981م)، ج2، ص12.

2 زهران، حامد، **علم النفس الاجتماعي** (القاهرة: عالم الكتب، ط 5، 1984م)، ص357.

3 أخرجه البخاري في **الجامع الصحيح**، كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة، ج4، ص24، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد باب "جواز الخداع في الحرب"، 1361-1362.

4 محفوظ، اللواء محمد جمال الدين، "سنة الرسول ﷺ في استخدام العامل النفسي"، **مركز بحوث السيرة والسنة**، جامعة قطر، 1991م، العدد الخامس، ص389.

كلمة الله" وبأنه يقاتل في سبيل الله.[1]

3. الدعاء: وهو وسيلة لرفع الروح المعنوية للمقاتل بما يتضمنه من طلب النصرة والمعاونة، وخاصة أن رسول الله ﷺ أكدّ أن الدعاء يُستجاب أثناء المعركة فقال: «ثنتان لا تُردان، أو قلّما تُردان: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يُلحم بعضهم بعضاً.»[2]

4. الشعارات والهتافات (صيحات القتال): تستخدم الشعارات والهتافات لتحقيق عـــدة أهداف، كالتعارف أثناء الالتحام بالعدو، أو في الظلام، وإثارة انفعالات الشجاعة والحماسة في النفوس مع ترويع العدو وبث الرهبة والخوف في قلبه في الوقت نفسه.[3] وكان اللواء في تلك الحروب يمثل شعار النصر، حيث يبث للمقاتلين العزم والجلد، وكان لا يحمله إلا أشجع شجعانهم ومن حوله نفر يبايعونه على الموت دونه.[4]

فالشعارات التي لها معنى في ثقافة أو عقيدة مجتمع ما، يجب أن تُغلف بمغزى أو معنى عملي، لذا يجب أن تصاغ كلماتها حتى تصير قادرة على أن تخلق في أذهان المستمعين صوراً لأفكار مجردة.

مما سبق يتضح لنا أهمية الشعار بوجه عام، والشعار الحربي بوجه خاص، لذا فمن الضروري تحديد مفهوم الشعار، ودلالته، وأهدافه، ومواصفاته، واستخداماته، معتمدين في الأساس على الشعارات التي استخدمها رسول الله ﷺ في غزواته.

---

1 محفوظ، اللواء محمد جمال الدين، "انتصار العقيدة في حرب العاشر من رمضان"، مجلة **منبر الإسلام**، 1997م، العدد 9.

2 أخرجه أبو داود في **السنن**، في كتاب الجهاد باب الدعاء عند القتال، ج3، ص45، وأخرجه الحاكم النيسابوري، في **المستدرك**، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ج2، ص198، وقال النووي في **الأذكار** (بيروت: دار الكتاب العربي، 1979م)، ص40: إسناده صحيح.

3 حسني، أمين محمد، **تنظيم وإدارة العمليات النفسية** نشر وزارة الدفاع، هيئة البحوث العسكرية المصرية، ص4.

4 كامل، عبد العزيز، **دروس من غزوة أحد** (القاهرة: دار المعارف، ط2، 1971م)، ص71-72.

الشعار: مفهومه ودلالته

بالرجوع إلى كتب اللغة والمصطلحات الفنية نجد أن الفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط يذكر أن شعار، ككتاب، وهو العلامة في الحرب والسفر، وجمعها أشعرة وشعُر، ومنه قيل: أشعر القوم: نادوا بشعارهم، أو جعلوا لأنفسهم شعاراً، ومنه قيل شعار الحج ومناسكه وعلاماته. وشعائره: معالمه التي ندب الله إليها، وأمر بالقيام بها.[1]

وذكر ابن منظور أن الشعار هو العلامة في الحرب وغيرها، وشعار العساكر أن يُسموا لها علامة ينصبونها ليعرف الرجل بها رُفقته. واستشعر القوم: إذا تداعوا بالشعار في الحرب، وشعار القوم: علامتهم في السفر، وأشعر القوم في سفرهم؛ جعلوا لأنفسهم شعاراً، وأشعر القوم: نادوا بشعارهم، والإشعار، الإعلام، والشعار العلامة.[2]

وفي الاستعمال الاصطلاحي الحديث ذُكر أن الشعار في الأصل عبارة عن تعبير نظري معنوي مكثف لمبدأ يؤمن به رافع الشعار ويسعى إلى تحقيقه[3]، فالشعارات هي: عبارات مختصرة سهلة التذكير، تعبر عن فكرة ثابتة أو قيمة أو هدف، وتهدف عادة للإقناع بحيث تؤثر على الرأي العام دون مناقشة.[4]

والشعار نداء مخصوص يعرف القوم به بعضهم بعضًا، أو يتنادون به للحرب أو للغزو. ويرى مؤلف كتاب "الجهاد في سبيل الله" أن من آداب الجهاد أن يتفق المجاهدون على كلمة سر لا يعلمها غيرهم، تكون شعاراً لهم ليميز بعضهم بعضًا

---

1 الفيروزآبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي، **القاموس المحيط** (بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر، د.ت)، ج2، ص60-61.

2 ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، 1410هـ/ 1990م)، ج4، ص413.

3 أحمد، منذر، **حول شعار الشرطة في خدمة الشعب** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1981م)، ص15.

4 الكندري، عبد الرحمن الملا، **حرب الشعارات في الكويت أثناء الاحتلال** (د.ن، ط1، 1994م)، ص22.

عندما تلتحم صفوفهم بصفوف عدوهـــم في القتال حتى لا يختلطوا بالمشركين ويختلط المشركون بهـــم، لأن تميز المسلمين عن المشركين فيه فوائـــد عظيمة منها: عـــدم استطاعة المشركين الاختلاط بهم للتجسس عليهم، أو الغدر بهم، ومنها عدم قتل المسلم أخاه المسلم خطأ ظنًّا منه أنه من أفراد العدو، وغير ذلك من الفوائد. ولهذا كان رسول الله ﷺ يعلّم أصحابه قبل أن يلتقي بهم العدو شعاراً خاصّاً بهم.[1]

ويمكن القول إن "الشعار" يمكن استخدامه في الحرب وفي السلم، ويمكن أن يكون رسماً أو كتابة على الجدران أو هتافاً، ويمكن أن يكون بيتاً من الشعر أو آية كريمة أو حديثا نبويًّا، كما سنرى في دراستنا الجانب التاريخي للشعار.

الجذور التاريخية للشعار

استخدمت الشعارات منذ القديم عبر العصور المختلفة حتى يومنا هذا، فالإنسان الأول مارس الرسم والكتابة على جدران الكهوف ليستخدمها في معرفة الأشياء، ومن الآثار المكتشفة الأشكال والرموز والكتابات التي وُجدت على الجدران الصخرية، والتي ترجع إلى العصر الحجري، وكانت غالباً ما تنطوي على مضمون عقائدي أو ديني أو غير ذلك.[2]

واستُخدمت الشعارات في القرن السادس عشر في الحرب التي نشبت بين الكاثوليك والبروتستانت، كما استخدمتها حكومة فرنسا الحرة في المنفى بزعامة الجنرال ديغول أثناء الحرب العالمية الثانية.

وقد كان اتخاذ الشعار معروفاً عند العرب قبل الإسلام، فقد كان شعار تنوخ في الحيرة "يا آل عباد الله"، وكان شعار المشركين في غزوة أحد "يا للعزى، يا لهبل"،

---

1 القادري، عبد الله، **الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته** (جدة: دار المنارة، ط2، 1992م)، ص198.

2 الكندري، **حرب الشعارات**، ص10.

وكان شعار المسلمين في غزوة الفتح "يا آل غالب: أسلموا تسلموا."[1]

وفي تاريخ مصر الحديث، كان للشعارات المرفوعة ضد المحتل أثرها الفعال في تحريك المواطنين ضد الاحتلال، وكانت عبارة "الاستقلال التام أو الموت الزؤام" من العبارات التي رسخت في أذهان الناس منذ عهد الثورة 1952م، إلى يومنا هذا.[2]

أما في الإسلام فكما أن لكل دين شعاره، فللإسلام شعاره أيضًا، وقد اتخذ الجيش الإسلامي في عهد رسول الله ﷺ، منذ البدء بتكوينه شعاراً موحَّداً استند إلى مبدأ رسالته الخالدة في التوحيد العقدي والنظرة الشمولية لإقامة المجتمع المنشـــود، ألا وهو: **"لا إله إلا الله محمد رسول الله"**، بإطاره ومضمونة الفكري والعقدي.[3]

أهداف الشعار

يقرر العلم العسكري أن كفاءة الجيوش تقوم على خمس دعائم رئيسية هي: المقاتل الكفء، والسلاح القوي، والانضباط، والروح المعنوية، وروح الفريق، لذا لابد أن يحقق الشعار هذه الدعائم من خلال الأهداف الآتية:

أولاً: تقوية العقيدة:[4] ينبغي أن يغرس الشعار الحربي في نفس المقاتل حبَّ نصرة الإسلام والمسلمين وإعلاء كلمة "الله"، فلا يتعارض مع مبادئ الإسلام، والقيم الأخلاقية للمسلمين.

ثانياً: تنمية إرادة القتال لدى المقاتل[5] بإثارة انفعالات الشجاعة والحماسة في

---

1 سليمان، محمود أحمد، **الجيش والقتال في صدر الإسلام** (الأردن: مكتبة المنارة، ط1، 1987م)، ص252.

2 الكندي، **حرب الشعارات**، ص10.

3 إبراهيم، حازم، **الجيش العربي الإسلامي** (الرياض: دار الرشيد للنشر، 1420هـ)، ص28.

4 محفوظ، اللواء محمد جمال الدين، **المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية** (القاهرة: دار الاعتصام، د. ت)، ص228.

5 من مقابلة شفهية مع اللواء أركان حرب أمين محمد حسين، في القاهرة، سنة 1999م.

نفوسهم،[1] فقد كان لصيحة القتال " الله أكبر" التي اتخذها القوات المسلحة المصرية في حرب العاشر من رمضان سنة 1973م، آثار معنوية رائعة ساعدت إلى حد كبير على تحقيق النصر على جيش إسرائيل وعلى تحطيم أسطورة أنه جيش يقهر.[2]

ثالثاً: ترويع العدو وبث روح الرهبة والخوف في قلبه[3]: إن هذا الهدف ذو أهمية كبيرة ممّا جعل مراسل وكالة "رويتر" يقول في حديثه عن الحرب المصرية الإسرائيلية في العاشر من رمضان: "إن صيحة الله أكبر كانت أصيلة وقوية التأثير إلى الحد الذي تصورنا معه أن الجنود ليسوا وحدهم الذين يهتفون بها، بل أيضًا الجبال والرمال والذخيرة، والأفق بأسره."[4]

رابعاً: نزع الخوف من نفس المقاتل:[5] فالمعروف أن إرادة القتال هي أصلاً "حالة نفسية" تنشأ في نفس المقاتل فتولد لديه الدافع ليصمد ويقاتل بصلابة وعزم إلى حد التضحية بروحه.[6]

خصائص الشعار الحربي

إذا كان لا مجال للجدال حول ما للشعار من أثر في رفع الروح المعنوية للمقاتل، فإن مسألة اختيار الشعار تخضع لعدة ضوابط واعتبارات لابد من التقيّد بها، وهي:

1- أن يكون الشعار قصير العبارة جدّاً، وبعيداً عن كل إبهام أو غموض أو تعقيد لغوي، حتى يسهل على المقاتلين قراءته، وفهمه، وتذكّره، واستيعاب معانيه وفهم

---

1 زايد، عبد اللطيف، "الجانب العسكري في حياة الرسول ﷺ "، مجلة **المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة**، العدد الخامس، دولة قطر، 1981م، ج5، ص555.

2 محفوظ، هامش كتاب **المدخل إلى العقيدة**، ص149.

3 زايد، "الجانب العسكري في حياة الرسول"، ج5، ص555.

4 محفوظ، "انتصار العقيدة في حرب العاشر من رمضان"، ص4.

5 من مقابلة مع اللواء أمين محمد حسني بالقاهرة، سنة 1999م.

6 محفوظ، اللواء محمد جمال الدين، **القيادة وإدارة الحرب في توجيهات الإسلام** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ص157-158.

رسالته، وترديده في سهولة ويسر. ذلك أن الشعارات الجيدة يمكن تذكرها بسهولة، ومن شأنها أن ترسخ في أذهان الناس بدون عناء.[1]

2- أن يكون الشعار معبِّراً عن هدف المعركة، و عن رغبات المقاتلين فيها.

3- أن يرتبط الشعار بالحدث، حيث ينتهي استخدامه بانتهاء الحدث.[2]

4- أن يتم اختيار الشعار بناء على نظر وتخطيط، وليس بصورة عشوائية أو اعتباطية.

5- أن يتم ترديد الشعار في وسائل الإعلام المختلفة، لحشد الجماهير وراء المقاتلين.[3]

6- أن يكون الشعار مُلبّياً لحاجة نفسية عند الجماهير حتى يحصل التجاوب والتواصل بين الشعار والمقاتلين، ويتحقق ميلهم وولاؤهم بالصورة المطلوبة، ويوقظ في نفوسهم العزة والشجاعة. ويرى الشيباني أن الشعار ينبغي أن يكون كلمة دالة على ظفر المسلمين بعدوهم بطريق التفاؤل، فقد كان رسول الله ﷺ يعجبه الفأل الحسن.[4]

7- ألا يتعارض الشعار مع أصول الدين الإسلامي وفروعه وقيمه.

8- ربط الشعار - إذا أمكن - بصورة حيّة، فالصورة الحية من أفضل الوسائل إقناعاً، وذلك لقدرة الصور على جذب الانتباه، وتحقيق الاقتناع، وتثبيت الشعار في ذاكرة المقاتلين والجمهور على السواء.

بهذه الخصائص تتشكل معالم الشعار الحربي، الذي ينفذ إلى أعماق المقاتل المسلم ليحقق فيه التوازن، ويُعيده إلى الفطرة السليمة، والحنيفية السمحة، ولينتقل بعدها إلى

---

1 **الموسوعة العربية العالمية** (بيروت: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، 1992م)، ج2، ص289.

2 من مقابلة شفهية مع اللواء أركان حرب محمد حسني، القاهرة، سنة 1999م. وأرى أن الشعار وإن ارتبط بمعركة ما، فإنه ينبغي أن يبقى يتردد صداه في أذهان الجند ليُستخدم في معركة أخرى، حيث أن شعارات جند المسلمين مستمدة من العقيدة التي لا تتبدل ولا تتحول أبداً.

3 من مقابلة مع اللواء أركان حرب محمد محفوظ، بالقاهرة، سنة 1999م.

4 الشيباني، محمد بن الحسن، **شرح كتاب السير الكبير**، تحقيق صلاح الدين المنجد (القاهرة: شركة الإعلانات الشرقية، 1971م)، ج1، ص74.

الجماهير المسلمة التي تنتظر صوت الحق والهدى المستنير، بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. (يوسف: 108).

أهمية الشعار في سيرة النبي ﷺ

من قواعد الحرب أن يتخذ الجنود شعاراً لهم، أو علامة يتعرفون بها على بعضهم في ظلمة الليل، أو عندما يشتبك الجمعان. وهذا الشعار هو ما يُعرف "بكلمة السر"، وقد كان متبعاً في غزوات الرسول ﷺ - كما سنرى - وفي فتوحات الخلفاء الراشدين من بعده.[1] ونظراً لأن الصراع بين المسلمين والمشركين امتد زمناً طويلاً، وبلغ أكثر من سبع سنوات - من السنة الثانية للهجرة في غزوة بدر حتى تبوك في العام التاسع للهجرة - فمن الطبيعي أن يكون لذلك أثره في رفع الحوافز المعنوية وتقويتها لتحقيق الانتصار للمسلمين. وسأستعرض المغازي التي قاتل رسول الله ﷺ فيها، وهي ثمان غزوات كما في صحيح مسلم قال: "غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة، قاتل في ثمان منهن،"[2] وهي بدر، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف.[3] ولم يذكر مسلم التاسعة وهي غزوة قريظة، وربما لأنه ضمها إلى الأحزاب لكونها كانت في أثرها،[4] بينما فر المشركون في تسع عشرة غزوة من غزوات النبي ﷺ بدون قتال.[5]

---

1 واصل، نصر فريد، **آداب العلاقات في الإسلام** (القاهرة: مكتبة التوفيقية، 1998م)، ص154.

2 أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد باب عدد غزوات النبي ﷺ، ج2، ص1448.

3 ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، **الطبقات الكبرى** (بيروت: دار صادر، د. ت)، ج2، ص6.

4 العسقلاني، الحافظ ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** (القاهرة: الكليات الأزهرية، 1987م)، ج 15، ص143.

5 خطاب، اللواء محمود شيت، **تاريخ جيش النبي ﷺ** (تونس: دار بوسلامة للنشر، 1981م)، ص36.

بلغ عدد الشعارات التي استخدمها رسول الله ﷺ في غزواته سبعة شعارات بدون مكرر؛ ففي غزوة بدر كان شعاره "أحد، أحد"، وفي غزوة أحد "أمت، أمت". أما في غزوة المريسيع (بني المصطلق) وغزوة خيبر فقد كان شعاره "يا منصور أمت، أمت"، وفي غزوتي الأحزاب وبني قريظة كان شعار المسلمين "حم لا ينصرون". أما في فتح مكة فقد كان شعارهم قَبلياً، حيث كان شعار المهاجرين (يا بني عبد الرحمن) وشعار الخزرج "يا بني عبد الله"، وشعار الأوس "يا بني عبيد الله".

أما في غزوة حنين والطائف فقد تعدد الشعار، فتارة يكون شعارهم "يا أصحاب سورة البقرة"، وتارة يكون "يا معشر الأنصار".

وفيما يلي نوضح معاني هذه الشعارات مع سبب اختيار رسول الله ﷺ لها في غزواته.

1. غزوة بدر:

كانت غزوة بدر حاسمة، والمعارك الحاسمة في تاريخ الحرب قديماً وحديثاً هي التي لا تقتصر نتائجها على زمان وقوعها ومكانها، بل تمتد آثارها عبر الزمان والمكان، وقد شملت نتائج بدر في آثارها العميقة حاضر المسلمين ومستقبلهم من جميع النواحي المادية والمعنوية والفردية والجماعية والعسكرية والسياسية، فقد وُلدت دولة الإسلام يوم انتصر المسلمون في بدر.[1] وقد كان شعار المسلمين - أي علامتهم التي يتعارفون بها في ذلك - إذا جاء الليل أو وقع اختلاط: "أحد، أحد"، وسمى الرسول ﷺ خيله "خيل الله".[2]

وفي تحليله لغزوة بدر يقول اللواء أركان حرب محمد محفوظ[3]: "غزوة بدر أول

---

1 خطاب، اللواء محمود شيت، **غزوة بدر الكبرى الحاسمة**، ص9.

2 الحلبي، علي بن برهان الدين الشافعي، **السيرة الحلبية** (بيروت: المكتب الإسلامي، د. ت)، ج2، ص176، والحافظ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، **البداية والنهاية** (بيروت: مكتبة المعارف، د. ت)، ج3، ص274.

3 من مقابلة مع اللواء أركان حرب محمد محفوظ، القاهرة، 1999م.

معركة في الصراع بين المسلمين والمشركين، وسوف يكون لنتائجها آثار بعيدة المدى على الدعوة، هذا بالإضافة إلى أن موقف الطرفين من حيث القوة ليس في صالح المسلمين، لأنهم يواجهون عدوّاً ثلاثة أضعافهم في القوة، مما يؤكد أن الموقف بالغ الصعوبة، لو عُرض على أي قائد عسكري خبير فسوف يقول: إن انتصار المسلمين في مثل هذه الظروف أمر غير محتمل، فهذه الظروف متعلقة بالدعوة وخصوصاً أن الرسول ﷺ رفع يديه بالدعاء إلى الله: «اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبد في الأرض أبداً»[1] فهذا الموقف يؤكد لنا الحاجة لحشد الروح المعنوية، والحوافز الصادقة في نفوس المسلمين، لذا كان من الطبيعي أن يكون شعار هذه الغزوة أمراً متعلقاً بالدعوة وهو "التوحيد" الذي هو مبدأ الإسلام وجوهره.

2. غزوة أحد:

لم تكن غزوة أحد معركة في ميدان القتال وحده، وإنما كانت كذلك معركة في الضمير والروح، كانت معركة ميدانها أوسع الميادين، ميدان النفس البشرية، وكان القرآن هناك يعالج النفس،[2] فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران: 152-153).

إن التعبير القرآني هنا يرسم مشهداً كاملاً لمسرح المعركة، كما يسلط الضوء

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد باب الإمداد بالملائكة، ج2، ص1383، وأخرجه الإمام أحمد في **المسند**، ج1، ص32.

[2] قطب، سيد، **غزوة أحد** (الإسكندرية: دار الدعوة، ط2، 1985م)، ص13.

على خفايا القلوب وخبايا النفوس التي ما كان المسلمون أنفسهم يشعرون بها أو يدركونها كما شهد بذلك عبد الله بن مسعود ﷺ فقال: "إن النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يُجهزن على جرحى المشركين، فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبر أنه ليس أحد منا يريد الدنيا حتى أنزل الله عز وجل: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾،[1] حيث كشف لهم القرآن قلوبهم، وليعرّفهم من أين جاءت الهزيمة ليتقوها.

فبينما كان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين، كان القتال المرير يجري في سائر مواقع المعركة، وكانت روح الإيمان قد سادت صفوف المسلمين، فانطلقوا خلال جنود الشرك انطلاق الفيضان تتهدم أمامه السدود وهم يقولون: "أمت، أمت"، كان ذلك شعاراً لهم يوم أحد.[2] وقيل في تفسير هذا الشعار إن المخاطب هو الله تعالى؛ فإنه المميت، فالمعنى يا ناصر أمت العدو،[3] وهو أمر بالموت، والمراد التفاؤل بالنصر، وجعلوا هذه الكلمة يتعارفون بها مع حصول التفاؤل بها، وشعار الكفار "يا للعزى يا لهبل" والعزى شجرة كانوا يعبدونها، و"هبل" صنم كان داخل الكعبة وقيل خارجها بجانب الباب.[4]

فهذه الآيات يخاطب الله تعالى فيها نبيه وأمّته من بعده ليجاهد بالمؤمنين الكفار، قال ابن عباس: "أمر بالجهاد مع الكفار بالسيف"، كما أنه سبحانه عرفهم كيفية الجهاد وأن الابتداء بالأقرب فالأقرب من العدو، ولهذا بدأ رسول الله ﷺ بالعرب المشركين.[5]

---

1 أخرجه الإمام أحمد في **المسند**، ج1، ص463، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه، ج6، ص191.

2 المباركفوري، صفي الدين، **الرحيق المختوم** (الإسكندرية: دار الإيمان، د. ت)، ص257.

3 السهارنفوري، خليل أحمد، **بذل المجهود في حل أبي داود** (القاهرة: دار الريان للتراث، د.ت)، ج12، ص97.

4 الحلبي، **السيرة الحلبية**، ج2، ص29.

5 القرطبي، الإمام أبو عبد الله محمد، **الجامع لأحكام القرآن** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1988م)، ج8، ص130، 189.

يقول اللواء محفوظ: "كان المسلمون يدركون أن قريشًا عدوهم الرئيسي، وأنهم سيبذلون كل ما لديهم من جهد للقضاء على الدعوة في المدينة، والمسلمون يرون أنه لابد من القضاء على هذه القوة المعادية للإسلام، فشعار "أمت، أمت" يعني استعمال أقصى ما يمكن من شدة في قتال أولئك الأعداء. ولابد هنا من الإشارة إلى أنه على الرغم من الهزيمة التي تعرض لها المسلمون في غزوة أحد فإن روح القضاء على المشركين كانت في أوجها إلى حد أن الرسول ﷺ قرر أن يطارد المشركين عند عودتهم إلى مكة قبل أن تمر أربع وعشرون ساعة على معركة أحد، وكان ذلك عندما خرج في صباح اليوم التالي إلى حمراء الأسد."[1]

وقد كان للشعار أثر كبير في التفاف المشركين حول خالد بن الوليد وعودتهم إلى المعركة حين نظر خالد بن الوليد - وكان قائد المشركين في أحد - إلى خلاء الجبل من الرماة، وقلّة مَنْ بقي به منهم فكّر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على مَنْ بقي من الرماة فقتلوهم مع أميرهم عبد الله بن جبير، وانتفضت صفوف المسلمين ودارت رحاها،[2] وصاح خالد حتى شعر القرشيون المنسحبون بالتطور المفاجئ الذي حدث، فانهالوا على المسلمين ضرباً وتقتيلا.[3] وتنادى المشركون بشعارهم "يا للعزى يا لهبل" ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون،[4] بينما قام خالد بالالتفاف من الخلف فأصبح المسلمون مطوقين من جوانبهم كافة.[5]

وتبرز أهمية الشعار كذلك في النصف الثاني من غزوة أحد عندما اضطرب المسلمون ونسوا شعارهم من شدة الهول فاختلطوا وصاروا يقتتلون على غير شعار

---

1 من مقابلة مع اللواء أركان حرب اللواء محمد جمال الدين محفوظ بالقاهرة سنة 2000م.

2 الحلبي، **السيرة الحلبية**، ج2، ص226، ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج2، ص42.

3 اللواء محمد جمال الدين محفوظ، **غزوات الرسول ﷺ**، ص103.

4 الحلبي، **السيرة الحلبية**، ج2، ص226، ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج2، ص42.

5 خطاب، **الرسول القائد**، ص181.

ويضرب بعضهم بعضاً لما يشعرون به من العجلة والدهشة؛[1] لأن المقاتلين كانوا يختفون في لأمة الحرب،[2] ويسترون وجوههم، فإن لم يكن لهم علامة بينة فربما قتل الأخ أخاه دون أن يعلم.[3] ففي مضطرب المعركة نظر حذيفة بن اليمان إلى أبيه والمسلمون يريدون قتله لا يعرفونه،[4] حيث التبس العسكران فلم يتميزوا فوقع القتل على المسلمين بعضهم من بعض،[5] فبصر حذيفة بأبيه اليمان فقال: أي عباد الله! أبي، أبي، فقالت عائشة رضي الله عنها في راوية الحديث: فو الله ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم.[6]

وانطلق رسول الله ﷺ يدعو المسلمين إليه، فالتفوا حول اللواء من جديد. وبناء على هذا التطور الجديد آثرت قريش أن تكتفي بما حدث، وقد فرحوا بهذا النصر المؤقت وخشوا أن يضيع منهم، وكأنهم اكتفوا بأن أصابوا مقتلة من المسلمين ورضوا بذلك لأنهم لا طاقة لهم فيما وراء ذلك.[7]

لقد أجمع المؤرخون على اعتبار نتيجة أحد نصراً للمشركين على المسلمين، ولكن الحقائق العسكرية لا تتفق مع ما أجمع عليه المؤرخون، فإنّ فشل المشركين في

---

1 أخرجه أبو القاسم سليمان بن أحمد، الطبراني، **المعجم الكبير** (الرياض: مكتبة المعارف، 1978م)، ج10، ص365–367، والحاكم في **المستدرك**، ج2، ص296 – 297، وصححه الحاكم والذهبي، **الطبقات الكبرى**، ج2، ص42.

2 لأمة الحرب: اللأمة الدرع وقيل السلاح، ولأمة الحرب أداته من رمح ومغفر ودرع وغيره، **النهاية**، ج4، ص 220، **المعجم الوسيط**، ج2، ص811.

3 الذهبي، أبو عبد الله محمد شمس الدين، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1982م)، ج2، ص362.

4 قطب، **غزوة أحد**، ص44.

5 ابن حجر، **فتح الباري**، ج15، ص240.

6 أخرجه البخاري في **الجامع الصحيح**، في كتاب المغازي باب إذ همت طائفتان منكم، ج5، ص34.

7 أبو زهرة، **خاتم النبيين ﷺ**، ص846، بتصرف.

القضاء على قوات المسلمين بعد إحاطتهم بقواتهم المتفوقة يُعد إخفاقاً لهم، وإن نجاح المسلمين في الخروج من تطويق المشركين بخسائر نسبتها عشرة بالمائة من قواتهم القليلة يُعد نصراً لهم.

إن نتيجة المعركة عسكريّاً لا تقاس بعدد الخسائر في الأرواح فقط، بل تقاس بالحصول على الهدف الحيوي للقتال وهو القضاء المبرم على العدو ماديّاً ومعنويّاً، وهذا لم يتحقق للمشركين، ولم تؤثر الخسائر في معنويات المسلمين.[1] وقد لام المشركون بعضهم بعضًا عندما بلغوا الروحاء فقال أبو سفيان: "لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتم، شر ما صنعتم."[2]

3. غزوة بني المصطلق:

والمصطلق لقب واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بطن من بني خزاعة. ويقال غزوة " المريسيع" وهو ماء لبني خزاعة.[3] وهذه الغزوة وإن لم تكن طويلة من حيث الوجهة العسكرية، إلا أنها وقعت فيها وقائع أحدثت البلبلة والاضطراب في المجتمع الإسلامي، وتمخضت عن افتضاح المنافقين.[4] بدأت هذه الغزوة في الأول من شهر شعبان في السنة الرابعة للهجرة، وانتهت في أول رمضان تقريباً، وبذا تكون الغزوة قد استغرقت 28 يوماً.[5] ويعود سبب هذه الغزوة إلى أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني المصطلق - وهم من خزاعة - يجمعون الجموع له. ومن نهج النبي ﷺ أنه إذا تأكد أن قوماً يريدون الإغارة عليه

---

1 خطاب، **الرسول القائد**، ص187 و192.

2 الطبراني، **المعجم الكبير**، ج11، ص247، وقال الهيثمي في **المجمع**: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور وهو ثقه.

3 ابن حجر، **فتح الباري**، ج15، ص318.

4 المباركفوري، **الرحيق المختوم**، ص325.

5 غنيم، وجدي، **غزوات النبي ﷺ**، تسجيل صوتي على أشرطة.

بادرهم قبل أن يبادروه، فإنه ما غُزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا،[1] وفي الحديث أن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارّون وأنعامهم تُسقى على الماء، فقتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذ جويرية رضى الله عنها،[2] وكان من الخطط المألوفة في معارك رسول الله ﷺ أن يتفق مع أصحابه على شعار يقولونه في المعركة، وذلك خشية الاشتباه بين أفراد المسلمين والكفار.[3] ولقد كان شعار المسلمين في هذه المعركة هو "يا منصور أمت، أمت"، كما حدث بهذا سنان ابن وبرة الجهني فقال: "غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة المريسيع فكان شعارنا يا منصور أمت، أمت."[4]

قال الشيباني: معناه قد ظفرت بالعدو فاقتل من شئت منهم،[5] وقال الحلبي: كان هذا شعار المسلمين، أي علامتهم التي يُعرفون بها في ظلمة الليل أو عند الاختلاط تفاؤلاً بأن يحصل لهم النصر بعد موت عدوهم.[6]

ففي هذا الشعار وصف للمسلمين "بالمنصورين" فهم جند الله، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۞ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾. (الصافات: 171-173)، فهذا الشعار تأكيد لوعد الله لهم بالنصر، فضلاً عن أن "يا منصور أمت"، هو أمر بالموت، والمراد به أيضًا التفاؤل بالنصر بعد الإماتة.[7]

---

1 أبو زهرة، **خاتم النبيين** ﷺ، ص969.

2 أخرجه البخاري في **الجامع الصحيح**، في كتاب العتق باب من ملك من العرب رقيقاً، ج3، ص122.

3 إبراهيم قريبي، **مرويات غزوة بني المصطلق** (المدينة المنورة: المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي، د.ط.ت)، ص109.

4 أخرجه الطبراني في **المعجم الكبير**، ج7، ص119، وقال الهيثمي في **المجمع**، ج6، ص142: رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن.

5 الشيباني، **شرح كتاب السير الكبير**، ج1، ص74.

6 الحلبي، **السيرة الحلبية**، ج2، ص280، **سبل الهدى والرشاد**، ج4، ص506.

7 محفوظ، **المدخل إلى العقيدة**، ص149.

4. غزوة الأحزاب:

إن غزوة الأحزاب من الغزوات الفاصلة في تاريخ الإسلام والمسلمين، حتى أن رب العزة جل وعلا قد دعا المسلمين إلى ذكر فضل الله ومنته عليهم في هذه الغزوة، حيث سخر سبحانه الريح والملائكة لرد هؤلاء الكافرين،[1] فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ (الأحزاب: 9)، حتى أن الرسول ﷺ ظل طوال حياته يحمد ربه على ذلك، كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من الغزو أو الحج أو العمرة يبدأ فيكبر ثلاث مرات ثم يقول: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده،»[2] فالرسول ﷺ يحمد ربه في جل المناسبات بهذا النصر العظيم.

ويشير السياق التاريخي للوقائع إلى أن القرشيين اهتزت نفوسهم وتضعضعت قواهم، و لم يعودوا ليقدموا على حرب وحدهم خشية من محمد ﷺ ومن معه من جند أشداء، فقد مكثوا لا يقاتلونه سنتين كاملتين، وإن كانوا يشجعون عليه غيرهم من غطفان وغيرهم.[3]

و لم يعد أمام المشركين من سبيل إلا إقامة تحالف كبير تجتمع فيه قوى قريش والقبائل الأخرى ويهود في صعيد واحد للقضاء على المسلمين وانتهاب أموالهم وذراريهم،[4] وهذا التجمع يشبه ما يُطلق عليه في العصر الحالي "العولمة العسكرية"،

---

1 محمد عبد السلام، **غزوات خلد القرآن الكريم ذكرها** (الكويت: جامعة الكويت، 1994م)، ص143.

2 أخرجه البخاري في **الجامع الصحيح**، في كتاب المغازي باب غزوة الخندق، ج5، ص49.

3 أبو زهرة، **خاتم النبيين**، ج2، ص919.

4 خطاب، **الرسول القائد**، ص225 – 226.

وهي استيعاب فصائل من جيوش العالم وصهرها في بوتقة واحدة وتحت لواء قيادة واحدة هي التي تحدد وجهة الحرب وأهدافها، ولا شك أن مثل هذا التجمع يُسهم في تبادل الخبرات وتنسيق التعاون في الواجبات، وكسر الجمود أو التخوف أو الحذر في علاقات المشاركين، لتنفيذ واجب واحد وتحت قيادة واحدة.[1]

ولما سمع رسول الله ﷺ بالأحزاب وما أجمعوا عليه من الأمر الذي زعموه وهو استئصال المسلمين، تشاور المسلمون فاتفقوا على حفر الخندق، ولم يكن ذلك من شأن العرب، ولكنه من مكايد الفرس، وكان الذي أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال: "يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا،"[2] فأمر رسول الله ﷺ بحفره حول المدينة، فكان أحد جوانب المدينة عورة، وسائر جوانبها مشتبكة بالبنيان والنخيل لا يتمكن العدو منه، فاختار ذلك الجانب للخندق.[3] وشارك رسول الله ﷺ المسلمين في حفر الخندق،[4] الذي جرى حفره بعمق واتساع بحيث لا تستطيع الخيل اقتحامه. فلما اقتربت طلائع الأحزاب من المدينة ظهر أمامهم الخندق معترضاً طريقهم فكانت مفاجأة لم يكونوا قط يتوقعونها،[5] فلما رأوه قالوا: "والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها."[6]

وقف الجيشان أياماً يرقب كل منهما الآخر وكتائب الأحزاب لا تنفك تطوف

---

1 بسام العسلي، "العولمة والمتطلبات الاستراتيجية الجديدة"، مجلة **الدفاع العربي**، بيروت، 2000م، عدد 2، ص21.

2 دحلان، أحمد زيني، **السيرة النبوية والآثار المحمدية** (بيروت: دار المعرفة، ط2، د. ت)، ج2، ص3، ابن حجر، **فتح الباري**، ج15، ص275، الحلبي، **السيرة الحلبية**، ج2، ص311.

3 الحلبي، **السيرة الحلبية**، ج2، ص315.

4 كما صح ذلك في **الجامع الصحيح**، البخاري في كتاب المغازي، غزوة الخندق، ج5، ص47.

5 محفوظ، اللواء محمد جمال الدين، **تأمين المدينة المنورة** (القاهرة: دار الاعتصام، د. ت)، ص195.

6 ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون (بيروت: دار الخير للنشر، ط1، 1996م)، ج3، ص177.

بالخندق ليلاً ونهاراً علّهم يجدون فيه منفذاً ينفذون منه،[1] ولذا ثبت أن رسول الله ﷺ قال حين خاف أن يُبيّته أبو سفيان: «إن بُيتّم فإنّ دعواكم حم لا يُنصرون.»[2]

قال الخطابي: معناه الخبر، ولو كان بمعنى الدعاء لكان مجزوماً أي لا ينصروا، وإنما هو إخبار كأنه قال: والله لا ينصرون. وقد روي عن ابن عباس أنه قال "حم" اسم من أسماء الله عز وجل، فكأنه حلف بالله أنهم لا يُنصرون. وقال ابن الأثير: قيل مغناه: اللهم لا يُنصرون، ويريد به الخبر لا الدعاء، لأنه لو كان دُعاء لقال: "لا ينصروا" مجزومًا، فكأنه قال: والله لا ينصرون. وقيل إن السور التي في أولها "حم" سور لها شأن، فنبّه أن ذكرها لشرف منزلتها مما يُستظهر به على استنزال النصر من الله تعالى. وقوله: لا يُنصرون: كلام مستأنف، كأنه حين قال: قولوا حم، قيل ماذا يكون إذا قلنا؟ فقال لا يُنصرون. وقال أبو عبيد: معناه اللهم لا يُنصرون، فهو قسم للتأكيد أن الأعداء لا ينصرون.[3]

وخرجت طليعتان للمسلمين ليلاً فالتقتا ولا يشعر بعضهم ببعض ولا يظنون إلا أنهم العدو فكانت بينهم جراحة وقتل، ثم نادوا بشعار الإسلام "حم لا ينصرون" فكفّ بعضهم عن بعض، فكانوا بعد ذلك إذا دنا المسلمون بعضهم من بعض نادوا بشعارهم.[4]

وتعتبر هذه المعركة آخر معارك المرحلة الدفاعية التي نفذها الجيش المسلم دفاعاً عن المجتمع الإسلامي الوليد بالمدينة المنورة. فقد قال ﷺ حين أُجْلي الأحزاب عنه: «الآن

---

1 غنيم، **غزوات الرسول ﷺ**، محفوظ، **غزوات الرسول شرف الآباء**، ص183.

2 أخرجه الحاكم في **المستدرك**، ج2، ص107 وصححه، وسكت عنه الذهبي، وأخرجه أبو داود في **السنن**، في كتاب الجهاد، باب في الرجل ينادي بالشعار، ج3، ص74، وأخرجه الترمذي في **السنن**، في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في الشعار، ج4، ص197.

3 هامش **سنن أبو داود**، ج3، ص74، كتاب الجهاد باب 78، **المطالب العالية**، ج3، ص368، **النهاية**، ج1، ص446، **غريب الحديث** ج1، ص245، **شرح السير الكبير** للشيباني، ج1، ص74.

4 المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع**، تصحيح محمود شاكر (قطر: طبع على نفقة الشئون الدينية، ط2)، ج1، ص234.

نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم.»[1] فقد رأى ﷺ بعبقريته أن إخفاق المشركين واليهود بعد هذا التجمع الهائل يعني أنهم لن يجتمعوا مرة أخرى، وأنهم لا يستطيعون القضاء على المسلمين بعد ذلك منفردين، بعد أن عجزوا عن القضاء عليهم مجتمعين."[2]

5. غزوة بني قريظة:

لما رجع النبي ﷺ من الخندق، ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعناه، فاخرج إليهم، قال: فإلى أين؟ قال: ها هنا. وأشار إلى بني قريظة، فخرج ﷺ إليهم،[3] وأمر أصحابه ظهر ذلك اليوم بالإسراع إلى بني قريظة وهم في حصونهم، وقال: «لا يصلين أحدٌ العصرَ إلا في بني قريظة.»[4] فقد أسرع رسول الله ﷺ بتحريك قواته لتطويق اليهود ليحول بينهم وبين استعانتهم بحلفائهم من يهود آخرين، وأسرع المسلمون لتنفيذ أمر رسول الله ﷺ في اليهود الغادرين الذين لم يراعوا للجار حقّاً، و لم يحافظوا على العهد الذي بينهم وبين المسلمين فخانوا المسلمين في غزوة الأحزاب، مما جعل المسلمين مهدّين بالإبادة والفناء، فكان لابد من تصفية الحساب معهم.

فدعا رسول الله ﷺ عليّاً رضي الله عنه فدفع إليه لواءه، وكان اللواء على حاله لم يُحل من مرجعه من الخندق،[5] وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ في هذه الغزوة هو نفس شعارهم يوم الخندق: "حم لا ينصرون."[6]

---

1 أخرجه البخاري في **الجامع الصحيح**، في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق،ج5، ص49.

2 خطاب، **الرسول القائد**، ص239.

3 أخرجه البخاري في **الجامع الصحيح**، في كتاب المغازي، مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ج5، ص49-50.

4 المصدر السابق، ج5، ص5، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ومسلم في صحيحه، في كتاب الجهاد باب جواز قتال من نقض العهد، ج2، ص1389.

5 المقريزي، **إمتاع الأسماع**، ج1، ص242، **السيرة الحلبية**، ج2، ص333.

6 أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الملكي السهيلي، **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام**، تعليق عبدالرؤف سعد (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، 1972م)، ج6، ص274.

وفي رأيي أن السبب في عدم تغيير حامل اللواء وعدم تغيير الشعار، ربما يرجع إلى أن هذه الغزوة حصلت مباشرة على إثر الانتهاء من غزوة الأحزاب، وكأنها بهذا مكملة لغزوة الأحزاب، ويدل على ذلك أن مسلم في صحيحه عندما عددّ غزوات النبي ﷺ لم يذكر اسم غزوة بني قريظة، وقد قال ابن حجر في ذلك: وأهمل غزوة قريظة لأنه ضمها إلى الأحزاب لكونها كانت في أثرها.[1]

لم تكن حرب بني قريظة حرب ميدان، إنما كانت حربًا نفسية فلم يستطع يهود أن يتحملوا الحصارْ على الرغم من توفر المواد الغذائية لديهم، وتوفر المياه والآبار، ومناعة حصونهم وصعوبة اقتحامها، ولكن معنوياتهم انهارت[2] بفضل من الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾. (الأحزاب: 26)

وبتمام هذه الغزوة، أراح الله المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين مردوا على الغدر والخيانة، و لم يبق إلا بقية من كبارهم بخيبر مع أهلهم وهم الذين كانوا السبب في إثارة الأحزاب[3].

6. غزوة خيبر:

أصبحت خيبر آخر معقل لليهود في شبه الجزيرة العربية، وفيها أكبر تجمع بشري لهم فيه، وكان أهلها أعرف اليهود بشؤون الحرب والتحصينات[4]. وكانت خيبر مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع، وكان يسكنها اليهود الذين حزبوا الأحزاب ضد

---

1 ابن حجر، **فتح الباري**، ج15، ص143.

2 خطاب، **خطاب الرسول القائد**، ص246.

3 القاسمي، محمد جمال الدين، **تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح هشام البخاري (بيروت: دار إحياء التراث الإسلامي، ط1، 1994م)، ج5، ص504.

4 محفوظ، **غزوات الرسول ﷺ شرف الآباء**، ص270.

المسلمين، وأثاروا بني قريظة على الغدر والخيانة حتى وضعوا خطة لاغتيال النبي ﷺ، ولذلك اضطر المسلمون إلى مجابهتهم.[1]

وقد وعد الله سبحانه رسوله الكريم بمغانم خيبر فقال تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ (الفتح: 20). قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد والجمهور: إنها غنيمة خيبر،[2] ورجحّ هذا التفسير ابن جرير فقال: "وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ما قاله مجاهد، وهو أن الذي أثابهم الله من مسيرهم ذلك مع الفتح القريب: المغانم الكثيرة من مغانم خيبر، وذلك أن المسلمين لم يغنموا بعد الحديبية غنيمة، و لم يفتحوا فتحاً أقرب لبيعتهم رسول الله ﷺ بالحديبية من فتح خيبر وغنائمها."[3]

وكان رسول الله ﷺ يسير ليلاً في أكثر الغزوات حتى يحول دون انكشاف نواياه واتجاه حركة قواته، وكان ليهود خيبر حلفاء وأنصار من غطفان فنزل رسول الله ﷺ بواد الرجيع - وهو بين خيبر وغطفان - ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ويعاونوهم في قتال المسلمين.[4] قال أنس ﷺ: "إن النبي ﷺ كان إذا غزا بنا قوماً لم يكن يغزو بنا حتى يُصبح وينظر فإن سمع أذاناً كف عنهم، وإن لم يسمع أذانًا أغار عليهم، قال: فخرجنا إلى خيبر فانتهينا إليهم ليلاً، فلما أصبح و لم يسمع آذاناً ركب، وركبت خلف أبي طلحة، وأن قدمي لتمس قدم النبي ﷺ قال: فخرجوا إلينا بمكاتلهم ومساحيهم،[5] فلما رأوا النبي ﷺ

---

1 المباركفوري، **الرحيق المختوم**، ص363.

2 ابن الجوزي، عبد الرحمن، **زاد المسير في علم التفسير** (بيروت: المكتب الإسلامي، ط4، 1987م)، ج7، ص 435، عبد الله ابن عباس، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس** (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، ص433.

3 الطبري، **جامع البيان**، ج26، ص56.

4 محفوظ، **غزوات الرسول ﷺ شرف الآباء**، ص272.

5 مكاتلهم ومساحيهم: جمع مكتل وهو القفة الكبيرة التي يُحمل فيها التراب، والمساحي من آلات الحرث، ابن حجر، **فتح الباري**، غزوة خيبر، ج16، ص45.

قالوا: محمد والله، محمد والخميس،[1] قال: فلما رآهم رسول الله ﷺ قال: الله أكبر، الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين."[2]

وفي تكبير الرسول ﷺ بقوله: «الله أكبر خربت خيبر» قال دحلان: "يؤخذ منه تفاؤل النبي ﷺ، لأنه لما رأى آلات الهدم وهي المساحي والمكاتل - التي يخرجون بها إلى زروعهم صباحاً - تفاءل بأن حصونهم ستخرب، ويحتمل أن الله أعلمه بذلك بالوحي وهو الأصح."[3] وأضاف السهيلي: "إن لفظ المسحاة من سحوت الأرض إذا قشرتها فدل ذلك على خراب البلدة التي أشرف عليها، وأضاف ابن القيم: تفاؤل النبي ﷺ برؤية المساحي والفرس والمكاتل مع أهل خيبر فكان ذلك فألاً في خرابها."[4] وكان شعارهم "يا منصور أمت،"[5] وهو تفاؤل بالنصر بعد الأمر بالإماته،[6] فقاتل رسول الله ﷺ المشركين، وقاتلوه أشد القتال وقتلوا من أصحابه عدة، وقُتل منهم جماعة كثيرة، وفتحها حصناً حصنا.

والملاحظ في شعار هذه الغزوة أنه نفس الشعار الذي استخدمه المسلمون في غزوة "المريسيع" وربما يعود السبب في تكراره هنا إلى التفاؤل بهذا الشعار، حيث أدى إلى التعبئة النفسية للمسلمين فانتصروا انتصاراً ساحقاً في المريسيع وأيضاً في خيبر، والملاحظ أن جميع الغزوات التي استُخدم فيها هذا الشعار كانت نتيجتها نصراً حاسماً للمسلمين، فقد فرح رسول الله ﷺ بفتح خيبر وعبّر عن فرحه لجعفر بن أبي طالب العائد من الحبشة فقال عليه الصلاة والسلام: «ما أدري بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر.»[7]

---

1 الخميس: الجيش، سمي به لأنه مقسوم بخمسة أقسام (المقدمة، الساقة، الميمنة، الميسرة، القلب)، وقيل لأنه تخمس فيه الغنائم، النهاية، ج2، ص79.

2 البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الأذان باب ما يُحقن بالأذان من الدماء، ج1، ص151.

3 دحلان، **السيرة النبوية والآثار المحمدية**، ج2، ص53.

4 ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد في هدي خير العباد** (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، ج2، ص144.

5 الواقدي، محمد بن عمر، **المغازي** (بيروت: عالم الكتب)، ج2، ص644.

6 ابن منظور، **لسان العرب**، ج7، ص135.

7 أخرجه الحاكم في **المستدرك**، ج2، ص624، وصححه الذهبي، وابن أبي شيبه في **المصنف**، ج12، ص106.

7. فتح مكة:

إذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه وأزال موانعه، فقد كان عليه الصلاة والسلام يعلم أنه لا تنقاد البلاد حتى تنقاد مكة، فكان يتشوّف لفتحها، ولكن كان يمنعه من ذلك العهود التي أعطاها قريشاً في الحديبية، وهو سيّد من وفّى،[1] وهو القائل: "إني لا أخيس بالعهد."[2]

والواقع أن المسلمين التزموا بعهد الحديبية بكل دقة وأمانة، حتى نقضته قريش بدعمها ومساندتها لحلفائها بني بكر، في العدوان على خزاعة، حلفاء المسلمين،[3] فحلت بذلك اللحظة المناسبة للفتح.[4]

تروي عائشة رضي الله عنها موقف النبي ﷺ عندما بلغه عدوان بني بكر على بني كعب "خزاعة" فقالت: "لقد رأيت رسول الله ﷺ غضب فيما كان من شأن بني كعب غضباً لم أره غضبه منذ زمان، وقال: «لا نصرني الله إن لم أنصر بني كعب.»[5]

كان هذا هو السبب المباشر في الفتح العظيم الذي وصفه ابن القيم رحمه الله بقوله: "الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، ودخل الناس في دين الله أفواجاً."[6]

---

1 محمد الخضري، **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين**، (بيروت: دار ابن كثير، ط5، 1985م)، ص224.

2 أخرجه أبو داود في **السنن**، في كتاب الجهاد باب في الإمام يُستجن به في العهود، ج3، ص189، وأحمد في **المسند**، ج6، ص8، وصححه الألباني في **الأحاديث الصحيحة**، ج2، ص259.

3 ابن هشام، **السيرة**، ج4، ص30، المباركفوري، **الرحيق المختوم**، ص393 – 394.

4 محفوظ، **القيادة وإدارة الحرب**، ص148.

5 التميمي، أحمد بن علي، **أبو يعلي الموصلي** (دمشق: دار المأمون للتراث، ط1، 1401هـ/1986م)، ج7، ص 343- 344، وقال الهيثمي في **المجمع**، ج6، ص161-162: رواه أبو يعلي عن حزام بن هشام عن أبيه عنها وقد وثقهما ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح.

6 ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد**، ج3، ص394.

وقد كان فتح مكة بطبيعة الحال الهدف الاستراتيجي للمسلمين، وخاصة بعد انتزاع المبادأة من أعدائهم بعد الخندق كما سبق وذكرنا. وقد استطاع الجيش المسلم في هذه المعركة أن يُحقق مبدأ المفاجأة تمامًا، وكان لاكتشاف الرسالة التي بعث بها حاطب بن أبي بلتعة إلى بعض أقاربه في مكة يخبرهم فيها بخروج رسول الله ﷺ والمسلمين إليهم[1] أثر كبير في المحافظة على إمكانية تحقيق هذا المبدأ، مبدأ المفاجأة.[2]

وكان شعار المهاجرين يوم الفتح "يا بني عبد الرحمن،" وشعار الخزرج "يا بني عبد الله" وشعار الأوس "يا بني عبيد الله."[3]

والملاحظ أن الشعار هنا ليس شعاراً قتالياً كما كان في الغزوات السابقة، بل هو شعار قبلي، وربما يعود السبب في تغيير نوعية الشعار إلى أن رسول الله ﷺ لم يُرد قتالاً في مكة بدليل قوله يوم الفتح: «إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي و لم يحلّ لي إلا ساعة من نهار.»[4] ووصيته للقواد ألا يقتلوا أحداً إلا إذا اضطروا لذلك خير دليل على أن رسول الله ﷺ لم يكن راغباً في قتال قريش فقال: «كفوا السلاح إلا خزاعة عن بني بكر.»[5] فاختياره للشعار القبلي ربما أراد منه أن يُطمئن قريشاً أنه ما جاء لقتالها، فقد بلغ من حرصه على تجنب القتال أنه بلغه أن سعد بن عبادة قال وهو يقود الأنصار: اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحل الكعبة، فقال ﷺ: «كذب سعد،

---

1 أخرج هذا الحديث مطولا البخاري في **الجامع الصحيح**، في كتاب الجهاد باب الجاسوس، ج4، ص19، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بدر، ج2، ص1941.

2 كمال، مصطفى أحمد، **العسكرية في القرآن الكريم**، ص85.

3 ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج4، ص40، ابن عبد البر، **الدرر في اختصار المغازي**، ص219.

4 أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الحج، باب تحريم مكة واللفظ له، ج1، ص986، وأخرجه البخاري في **الجامع الصحيح**، في كتاب المغازي باب 51، ج5، 94.

5 أخرجه أحمد في **المسند**، ج2، ص179 وقال الشيخ شاكر في تحقيق المسند، ج10، ص158: إسناده صحيح.

ولكن هذا يوم يُعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة،»[1] كما حدث رسول الله ﷺ: «أن مكة لا تُغزى بعد هذا العام أبدا.»[2]

لقد فتح رسول الله ﷺ مكة بلا قتال، وكان تصرفه مع أهل مكة في غاية السماحة حين قال لهم: يا معشر قريش ما تقولون؟ قالوا: نقول ابن أخ كريم، وابن عم رحيم كريم، ثم عاد عليهم القول: فقالوا: مثل ذلك. قال: «فإني أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: 92)،» فخرجوا فبايعوه على الإسلام.[3]

ولقد كان لهذه السماحة آثار استراتيجية بعيدة المدى، حيث تم تأمين الدعوة، إذ أقبلت قريش على الإسلام، وتوحدت شبه الجزيرة العربية كلها تحت ظل الإسلام، فأصبحت بذلك قوة ذات عقيدة واحدة وهدف واحد.[4]

وقد ترتب على هذه المعركة أيضًا تعديل جوهري في أوضاع أعداء الإسلام داخل شبه الجزيرة العربية، فقد ترك جزء كبير منهم مكة واتجهوا جنوباً وجنوب شرق، وقد حاول هؤلاء الأعداء التمسك بأمل ضعيف في وجود بعض المنافقين في صفوف المجتمع الإسلامي، وهو الأمر الذي استدعى وقوع معركة أخرى لاستكمال سيطرة الجيش المسلم على شبه الجزيرة العربية.[5]

8. غزوتا حنين والطائف:

كان الله عز وجل قد وعد رسوله - وهو صادق الوعد - أنه إذا فتح مكة،

---

1 أخرجه البخاري في **الجامع الصحيح**، في كتاب المغازي باب أين ركز النبي ﷺ الراية عام الفتح، ج5، ص91.

2 أخرجه أحمد في **المسند**، ج3، ص412. قال الهيثمي في **المجمع**، ج3، ص284: رواه أحمد ورجاله ثقات.

3 النسائي، أحمد بن شعيب، **السنن الكبرى** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1991م)، ج6، ص282-283.

4 محفوظ، **القيادة وإدارة الحرب**، ص152-153.

5 كمال، **العسكرية في القرآن الكريم**، ص86.

دخل الناس في دينه أفواجاً، ودانت له العرب بأسرها، فلما تم له الفتح المبين، اقتضت حكمته تعالى أن أمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الإسلام، وأن يجمعوا ويتألبوا لحرب رسول الله ﷺ والمسلمين، ليظهر أمر الله وتمام إعزازه لرسوله ونصره لدينه، ولتكون غنائمهم شكرانًا لأهل الفتح، وليُظهر الله سبحانه رسوله وعباده، وقهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون مثلها، فلا يقاومهم بعد أحد من العرب.[1]

أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوما يصلى ركعتين،[2] ثم تحرك لملاقاة هوازن، حيث جاء رجل فارسي فقال: "يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة آبائهم بظعنهم، ونعمهم وشائهم، اجتمعوا إلى حنين، فَابتسم رسول الله ﷺ وقال: «تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله،»[3] فبعث رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن أبي حدرد الأسلمي ليأتيه بخبرهم، فمكث فيهم يوماً أو يومين ثم أقبل فأخبر رسول الله ﷺ بخبرهم فخرج رسول الله ﷺ إليهم سائراً.[4]

وكان شعارهم يوم حنين: "يا أصحاب سورة البقرة،" وبه ناداهم رسول الله ﷺ حين ولّوا منهزمين فرجع إليه المسلمون حين سمعوا صوته،[5] فيما وصف أنس ﷺ المعركة فيقول: لما كان يوم حنين انهزم الناس عن رسول الله ﷺ إلا العباس بن عبد المطلب وأبا سفيان بن الحارث، وأمر رسول الله ﷺ أن يُنادى: يا أصحاب سورة البقرة، يا معشر الأنصار، ثم استحّر النداء في بني الحارث بن الخزرج، فلما سمعوا النداء أقبلوا، فوَاللهِ ما

---

1 ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد**، ج2، ص189-190.

2 أخرجه البخاري في **الجامع الصحيح**، في كتاب المغازي باب مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح، ج5، ص95.

3 أخرجه أبو داود في **السنن**، في كتاب الجهاد باب في فضل الحرس في سبيل الله، ج3، ص20، وصححّه الذهبي والحاكم في **المستدرك**، ج2، ص83-84.

4 أخرجه الحاكم مطولاً في **المستدرك**، ج3، ص48-49 وصححّه الذهبي والحاكم، وأخرجه البيهقي في **الكبرى**، ج6، ص89.

5 الشيباني، **شرح كتاب السير الكبير**، ج1، ص74.

شبهتهم إلا إلى الإبل تجيء إلى أولادها، فلما التقوا التحم القتال، فقال رسول الله ﷺ: «الآن حمي الوطيس»، وأخذ كفًّا من حصى أبيض فرمى به وقال: «هُزموا ورب الكعبة.» وكان علي بن أبي طالب ﷺ يومئذ أشّد الناس قتالاً بين يديه.[1]

قال الحلبي في السيرة: خصّ رسول الله ﷺ سورة البقرة بالذكر لأنها أول سورة نزلت في المدينة، ولأن فيها ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: 249)، وفيها ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾، (البقرة: 40) وفيها ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ﴾، (البقرة: 207)، وهي آيات تقوّي العزم، وتثبت الفؤاد، وتحض على الوفاء بالعهد.[2] أما اختصاص بني الخزرج بالذكر بعد التعميم فلأنهم كانوا صُبراً في الحرب،[3] وفي رواية أخرى أن رسول الله ﷺ قال: "أي عباس ناد أصحاب السّمرة"[4] أي لا تنسوا بيعتكم الواقعة تحت الشجرة وما يترتب عليها من الثمرة،[5] وربما لأن القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذُكّروا بمناداة العباس ﷺ فرجعوا.[6]

وفي رواية أخرى قال: يا معشر الأنصار،[7] ولا تنافي بين الروايات لاحتمال تكرر

---

1 أخرجه أبو يعلي في **المسند**، ج6، ص289-290، وأخرجه الطبراني في **المعجم الأوسط**، ج3، ص363 –364، وقال الهيثمي في **المجمع**، ج6، ص180-181: رواه أبو يعلي والطبراني في **الأوسط** ورجالهما رجال الصحيح غير عمران بن داود وهو ابن العوام وثقة ابن حبان وغيره وضعّفه ابن معين وغيره.

2 اللواء محمد جمال الدين محفوظ، **غزوات الرسول شرف الآباء**، ص340.

3 دحلان، **السيرة الحلبية**، ج3، ص108-109.

4 السمرة: هي الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية. **النهاية**، ج2، ص399. أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد باب غزوة حنين، ج2، ص1398.

5 القاري، علي بن سلطان، **من مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت)، ج5، ص451.

6 الزبيدي، **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين** (دار الفكر ، د. ت)، ج8، ص294.

7 أخرجه الحاكم في **المستدرك**، ج3، ص48 وصححّه الحاكم والذهبي.

قول النبي ﷺ وتكرر ندائه، وأنه نادى بكل تلك الألفاظ.[1]

وخرج رسول الله ﷺ من حنين يريد الطائف، وقد كانت ثقيف رمّوا حصنهم[2] وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة وأغلقوه عليهم وتهيأوا للقتال، فحاصر رسول الله ﷺ حصن الطائف،[3] وقال: «من خرج إلينا من العبيد فهو حر»، فخرج عدد من العبيد فيهم أبو بكرة فأعتقهم رسول الله ﷺ،[4] واستمر حصاره للطائف فلما لم ينل شيئاً، قال عليه الصلاة والسلام: إنا قافلون إن شاء الله، فثقل عليهم وقالوا: نذهب ولا نفتحه، وقال مرة: نقفل، فقال: اغدوا على القتال فغدوا فأصابهم جراح: فقال: إنا قافلون غداً إن شاء الله فأعجبهم فضحك النبي ﷺ.[5]

وقد دعا رسول الله ﷺ لهم فقال: «اللهم اهد ثقيفا.»[6] وقد استجاب الله لدعاء نبيه، حيث قدم وفد ثقيف إلى رسول الله ﷺ بعد منصرفه من الطائف ليعلنوا إسلامهم، ولما أسلمت ثقيف ضربت إليه وفود العرب من كل وجه، لمعرفتهم أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله ولا عداوته، فدخلوا في دين الله أفواجاً.[7]

وبهذه المعركة انتهت المرحلة الثانية من مراحل الاستراتيجية العسكرية التي وضعها الرسول القائد ﷺ، وهي المرحلة المخصصة للأعمال التعرضية داخل شبه الجزيرة

---

1 دحلان، **السيرة النبوية** لأحمد زيني بهامش **السيرة الحلبية**، ج2، ص300.

2 رمّوا حصنهم: أي أصلحوه، من رمّم الشي: أصلحه، **مختار الصحاح**، ص257.

3 ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج2، ص158.

4 أخرجه أحمد في **المسند**، ج1، ص248، وقال أحمد شاكر في تحقيق المسند، ج3، ص53: إسناده صحيح.

5 أخرجه البخاري في **الجامع الصحيح**، في كتاب المغازي باب غزوة الطائف، ج5، ص102، ومسلم في صحيحه، في كتاب الجهاد والسير باب غزوة الطائف، ج2، ص1403.

6 أخرجه أحمد في **المسند**، ج3، ص343، ورجاله ثقات، وأخرجه، ج5، ص729، وقال حديث حسن صحيح غريب.

7 المقريزي، **إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال**، ج1، ص489 و495.

العربية،[1] و لم تبق في الجزيرة العربية كلها قوة تجرؤ على مناهضة المسلمين وإعلائهم بالعداء.[2]

خاتمـــــة

لقد أرسى الجيش المسلم أهمية الروح المعنوية مبدأ حرب، فلا حقَّ بغير قوة، ولا قوة بغير مجاهدين صادقين يجاهدون أنفسهم أولاً بالعقيدة الراسخة، لينتصروا على أعداء الإسلام بالأنفس الطاهرة ذات الأخلاق المحاربة، لا بضخامة العَدد والعُدد، إذ لم ينتصر المسلمون على أعدائهم بالتفوق العَددي والعُددي في أيام النبي ﷺ ولا في أيام الفتح الإسلامي العظيم، بل انتصروا بتطبيق تعاليم الدين الحنيف نصّاً وروحا.[3]

فالشعار من الأنظمة التي بشرعها الإسلام، لتقوية معنويات الجند والعمل على انهيار معنويات العدو، وإدخال الخوف والرعب فـــي قلوبهم عندما يرفعون به أصواتهم عند الالتحام.[4]

والدرس الذي يمكن أن نستخلصه من جيش النبي ﷺ هو:

1- أن نبني الجيوش العربية والإسلامية على أسس رصينة من تعاليم الدين الحنيف، لتتحلى تلك الجيوش بالمعنويات العالية التي ترتكز على تلك التعاليم.

2- أن نُحسن اختيار القادة المؤمنين حقًّا، الذين يؤثرون مصلحة أمتهم وبلدهم على مصالحهم الذاتية.[5]

3- ينبغي تعميم التربية العسكرية في المراحل الدراسية، فالقرآن يطلب منّا إعداد قوتنا دائمًا لنشر الدين، وإرهاب أعداء الله ورسوله ﷺ، كما أن توجيهات الرسول

---

1 كمال، **العسكرية في القرآن الكريم**، ص87.

2 خطاب، **الرسول القائد**، ص395.

3 خطاب، **العسكرية الإسلامية تاريخ جيش النبي ﷺ**، ج4، ص467.

4 الدباغ، العقيد مصطفى، **المرجع في الحرب النفسية** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1998)، ص301.

5 خطاب، **تاريخ جيش النبي ﷺ**، ص47.

ومدلول العموم عنده كليّ غير متناهي الأفراد، ويقصد القرافي "بغير متناهي الأفراد" كثرة الأفراد، لأنَّ معناه استيعاب جميع الأفراد التي يصدق عليها المعنى المشترك بين الأفراد، بحيث لا يبقى فرد إلاّ شمله الحكم، وهذا لا يعقل مع عدم التَّناهي.

وأكّد القرافي عدم لزوم العلاقة بين الواقع القائم وبين مسمَّى العموم، فالواقع له حكمه، والعموم من حيث هو عموم له حكمه، وذلك لتناهي الأول (الواقع) وعدم تناهي الثّاني (العموم). ومثّل لذلك باللعان، فإنّ الله تعالى شرع حكم اللعان في المتلاعنين، والمتلاعنون عدد غير متناهٍ بالنَّظر إلى عموم الصِّيغة، ومع ذلك لم يقع في الوجود في زمن الرَّسول ﷺ من حكم هذا العموم إلاّ في فرد أو فردين، كذلك فإنَّ العموم الوارد في قوله تعالى: ﴿والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ (المائدة:338) يظل صحيحاً ومقبولاً وإن لم يكن وجد في الواقع إلاّ سارق أو سارقان.[1]

وقد قسَّم القرافي مسمَّى العموم إلى قسمين: القسم الأول: ما يمكن تصورُه على التَّفصيل، وهو غير المتناهي المفسَّر بما له غاية؛ أي: له أفراد كثيرة غير متناهية من حيث المعنى الذهني العقلي، ومحدود ومتناهٍ في الواقع، فهذا لا يجب الوقوف عنده، فكلَّما وجدنا ميتةً حرَّمناها وبيعاً حلَّلناه. والقسم الثاني: ما لا يمكن تصوره على التَّفصيل وهو المفسَّر بمسلوب النِّهاية والغاية، أي أنه من حيث الواقع ليس له نهاية، كمعلومات الله سبحانه وتعالى، فهذا القسم لا يجري فيه التَّخصيص بالاتِّفاق، والخلاف في القسم الأول.[2]

وبعد هذه المقدمة ننتقل إلى لب الموضوع، وقد قعّد القرافي في هذا الشأن قاعدة مفادها: أنّ المخصص يشترط فيه أن يكون منافياً للعموم دائماً وإلاّ فلا تخصيص.[3]

---

[1] المصدر السابق، ص114 وما بعدها.

[2] المصدر السابق، ص128-129.

[3] المصدر السابق، ص133.